المقدمة

الإنسان في بحثه الدائم عن الكامل والتغيير للأفضل، كان يصطدم هنا وهناك بأحجار عثرة تعرقل مسيرته، تمنعه من الإنطلاقة الحقيقية نحو غده الذي يصنعه بيداه، كانت ثورته هي الحل على واقع عَشَش البؤس فيه وفرض الفقر سطوته، لذلك تعد الثورات لحظات فاصلة في تاريخ الأمم، تعبر عن مكنوناتها وتطلعتها نحو الأفضل نحو المستقبل الذي يحمل الخير، صرخة مجتمع بأكمله على أوضاع لم تعد تحتمل من ظلم وإفقار، تمارسه السلطة بطريقة ممنهجة، عبر سنوات طويلة بهدف قمع الشعوب، ليسهل قيادتها لتحقيق رفاهية طبقة صغيرة تجلس على قمة البناء الهرمي للمجتمع.

لذلك لا تمر الثورات في تاريخ الأمم والشعوب مرور الكرام في سجل التاريخ، بل تترك أثارها واضحا لا يمحى على مر الأيام، فكثير ما تتجاور الثوارت وأعمال العنف، فعلى قدر الظلم يكون شدة الانفجار، لكنه في الغالب الأعم عنف صحي يخرج فيه المجتمع شحنته السلبية جميعها ثم يعود للبناء، قد تستغرق عملية إخراج هذه الشحنة سنوات هي في عمر البشر طويلة لكنها في عمر الدولة مجرد لحظات.

فالثورة ضرورة لأي كيان سياسي فلا دولة بلا ثورة تبدو حقيقة تاريخية، فالثورات هي التي تصنع الأمم وتجمع بين أبناء الشعب الواحد في خندق الوطنية، فالأميركان لم يعرفوا يوما وجهتهم ومن هم إلا بعد الثورة التي أدت لظهور هذا الكيان السياسي المعروف باسم الولايات المتحدة الأميركية، ولولا الثورة لما كان الإنجليز قد خلقوا استقرار سياسي داخل البلاد في القرن السابع عشر الميلادي لم تحققه أي دولة أوروبية، وهو الاستقرار الذي أدى ضمن عوامل أخرى إلى ظهور الأمبراطورية التي لا تغيب عنها الشمس.

تتغير أساليب الشعوب فكل لها ثورته، لكنها تتفق في المضمون تتفق على حتمية التغيير الآن وليس غدا، قفزة للمستقبل لا قفزة للمجهول، أحيانا تثور الشعوب ضد حاكم ظالم أو سلطة غاشمة أو احتلال رابض بحثا عن الاستقلال، في النهاية تبحث

الشعوب عن حريتها الضائعة، تمسك السوط من جلاديها تلقيه في الأرض تعلن ثورتها بعيون حمراء، في النهاية لا أحد يستطيع قمع شعب ثائر كمارد خرج من القمقم.

عندما يخرج الشعب ثائرا لا ينتظر منحة من نظام أو حاكم، لا يرضيه إلا تغير جذر، اقتلاع الفساد من جذوره هدفه، التغيير وسيلته، الحرية والعدالة هدفه، لذلك تشترك الثورات في التاريخ في خلقها تغيرات اجتماعية واقتصادية وثقافية تتعدى حدود بلد الثورة تتجول تأثيرتها في أرجاء العالم الفسيح.

وللثورة تعريفات معجمية تتلخص بتعريفين ومفهومين ،التعريف التقليدي القديم الذي وضع مع انطلاق الشرارة الأولى للثورة الفرنسية وهو قيام الشعب بقيادة نخب وطلائع من مثقفيه لتغيير نظام الحكم بالقوة. وقد طور الماركسيون هذا المفهوم بتعريفهم للنخب والطلائع المثقفة بطبقة قيادات العمال التي اسماهم البروليتاريا. اما التعريف أو الفهم المعاصر والاكثر حداثةً هو التغيير الذي يحدثه الشعب من خلال أدواته "كالقوات المسلحة" أو من خلال شخصيات تاريخية لتحقيق طموحاته لتغيير نظام الحكم العاجز عن تلبية هذه الطموحات ولتنفيذ برنامج من المنجزات الثورية غير الاعتيادية.

تعريف الثورة لغوي ليس بعيدا عن التعريفات الأيديولوجية فقد ورد في كتاب لسان العرب لابن منظور، وهو أهم معاجم اللغة العربية، أن الثورة لغة هي "لغة الهيجان والوثوب والظهور والانتشار والقلب، ثار الشيء ثورا وثورا وثورانا وتثور هاج".

أما الثورة اصطلاحا فقد تعددت تعريفاتها، بقول ميرل الثورة هي حركة اجتماعية بها تحل بعنف أسطورة جديدة محل أسطورة قديمة، ويقول دن الثورة هي تغيير جماهيري سريع وعنيف ، ويقول جورج سوبر بيتي الثورة هي إعادة بناء الدولة ، ويقول مود الثورة مجرد تغيير في بناء الحكومة ، ويقول شاتوبريان الثورة انقطاع في التاريخ،ويقول بيتي هنتنجتون و نيومان الثورة إبدال القيم...و بالجمع بين ما هو مشترك في هذه التعريفات يمكن تعريف الثورة بأنها التغيير خارج إطار نظام قانوني

لا تتوافر فيه امكانيه التغيير، فهي تغيير فجائي وكلى يتم خارج إطار نظام قانوني لا تتوافر له الشرعية ، وهي بهذا تختلف عن الإصلاح الذي هو التغيير من خلال نظام قانوني تتوافر فيه إمكانية التغيير، فهو تغيير تدريجي جزئي سلمى يتم من خلال نظام قانوني تتوافر له الشرعية.

الثورة كونها حالة غير اعتيادية فقد اختلف علماء الاجتماع في تحديد اسبابها بين الأسباب الغريزية، ويرجح بعضهم الأسباب الاقتصادية كالبطالة أو الصراع الطبقي كما ذهب كارل ماركس، أو الاحتجاج على الضرائب، ويرجح آخرون الأسباب العقائدية والفكرية ممثلة في ظهور قيم وأفكار وعقائد جديدة، كما يرجح آخرون الأسباب الحضارية ممثله في الاحتكاك الحضاري بين الشعوب.

في الصفحات التالية نستعرض خمس ثوارت غيرت وجه العالم في القرون الأربعة الأخيرة، بداية من الثورة الإنجليزية "المجيدة" (١٦٨٨ ـ ١٦٨٩) التي، تفاديا لتنصيب سلالة ملكية كاثوليكية، اختارت ملكها من آل هونوفر، وحددوا شكل العلاقات السياسية في إطار إعلان الحقوق السياسية التي نظمت علاقة الملك بالشعب تقريبا إلى الآن، وهكذا كانت "الثورة المجيدة" هي آخر ثورة عرفتها إنجلترا حتى الآن، وكان هذا سبب استقرارها الذي جعلها تتقدم اقتصاديا على فرنسا أم الثورات.

أما فرنسا، فقد تأثرت بثورة التحرير الأميركية التي ظهرت من خلالها الأمة الأميركية لتلعب دورها التاريخي، وتعد الثورة الفرنسية الأشهر في التاريخ والأكثر إلهاما، فمعظم المؤرخين متفقين على أن مفهوم الثورة اكتسب معناه الحديث مع تلك الثورة التي كسرت كل تقاليد العصور الوسطى.

أما الثورة الروسية فيكفي إنها انتجت الدولة السوفيتية والتجربة الشيوعية التي سيطرت على آفاق القرن العشرين حتى سقوط الاتحاد السوفيتي في عام ١٩٨٩م، كما استعرضنا الثورة الإسلامية في إيران كونه ظاهرة ثورية منفصلة لها تداعياتها المستمرة في رقعة كبيرة من العالم تشمل بلدان العالم الإسلامي، فكل التيارات الدينية يحدوها الأمل في الدول الإسلامية أن تحقق إنجاز رجال الدين الإيرانيين في الوصول إلى الحكم وتكوين دولة ولاية الفقيه.

obeikandl.com